

الفصل الثالث

البناء الفني لأدب الرحلة في كتابات الغسيري " عدت من الشرق " أنموذجا

إن للرحلات آثارا قيمة في النفوس -خاصة منها المنظمة - فهي تكسبها معرفة واطلاعا، فالمسافر ذو النفس الحية، والعقل الحصيف، والشعور الفياض تهتز كوامن الإحساس منه أيما اهتزاز فهو يرى أناسا وبلدانا ومناطق تختلف طبيعتها روعة وجلالا فيكسب من وراء ذلك علما جليلا قوامه المشاهدة لذا كانت فكرة السياحة في العالم المتمدن نقطة أساسية

زيادة لما لها من تأثير على النفوس في تطبيق علوم الحياة خصوصا علوم الجغرافيا و التاريخ.

1- محتوى النص:

انطلاقا من هذه الأهمية البالغة للرحلات خاض الرحالة الجزائريون الرحلة بأنواعها السياسية والسياحية والاجتماعية والعلمية، واتخذت رحلاتهم عدة اتجاهات منها الداخلية والخارجية خاصة نحو الوطن العربي كذلك التي قام بها "محمد المنصوري الغسيري" والتي كانت بدعوة من الكشافة المصرية "بمناسبة حفلات التحرير ومرور سنة على الثورة السلمية العظيمة"¹⁴¹، وكانت انطلاقا من قسنطينة باتجاه البلد الشقيق مصر، ثم استغل الفرصة وجال عدة بلدان عربية، ففي طريقه إلى مصر وبعد مروره بتونس حل الوفد الذي كان بقيادة "محمد المنصوري الغسيري" -ومعظمه من الكشافة الإسلامية الجزائرية - بالشقيقة ليبيا فيتحدث الكاتب عن الوصول إلى (زواة) ويشيد بالاستقبال الجيد للإخوة الليبيين، وبعد طوافه في ليبيا يلقي نظرة تمعن على آثار الوجود الإيطالي، ويذكر بالخصوص مدينة (طرابلس) التي لم تتل منها الحرب العالمية الثانية رغم ضراوتها على عكس مدن أخرى مثل (سرت) و(درنة) و(بنغازي) التي أصابها خراب جراء الحرب وقد استقبل أهلها وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية "أحسن استقبال وليس في المدينة ما يوصف إلا هذه الخرابات التي تركتها الحرب، وإلا هذا الموقع الطبيعي الجميل الذي تقع فيه المدينة، ولعل الأجل من ذلك أن نمر إلى الجبل الأخضر وكفى، وليس بعد الخضرة من وصف للجبال"¹⁴².

وقبل أن يغادر ليبيا بين لنا الكاتب ضيقه بالحدود التي فرضها المحتل على الوطن العربي لكن في الوقت نفسه يبدي سروره باستقلال الوطن العربي فأثنى على المواطن الليبي الشهم وعلى شبابها من الكشافة خاصة فيقول: "سلام على ليبيا، و سلام على شبابها الناهض و سلام على ولاتها ما عدلوا في الحكم وثأروا لأنفسهم ولبلادهم من العبودية والجهل"¹⁴³.

141- البصائر ، سلسلة 2، العدد 239 الصادر بتاريخ 15 شوال 1372 (26 جوان 1953) ص.8.

142- البصائر، سلسلة 2، العدد 250، الصادر بتاريخ 5 ربيع الثاني 1373 (11 ديسمبر 1953)، ص.3.

143- المصدر نفسه.

وعند مغادرته ليبيا باتجاه الشقيقة "مصر" يصف الكاتب الحشود غير المنتظمة على المركز الحدودي بمنطقة (سلوم) الحدودية ومعاناة الشرطة خاصة مع المواطنين الذين يجهلون الإجراءات القانونية، ثم يلقي نظرة على آثار الحرب العالمية وما خلفته من دبابات مهشمة وطائرات محطمة.

وعند وصوله إلى مصر ينبهر بحياة المصريين وهي تنعم بالحرية وأفرد لها وحدها أربع حلقات في جريدة البصائر كان العنوان في الأولى (في كنانة الله مصر) وفي الثانية (في مصر كنانة الله) وفي الثالثة (مظاهر التدين في مصر) وفي الرابعة (الجزائريون في مصر) وترتيبها في الجريدة بداية من الحلقة الثانية إلى الحلقة الخامسة، وأول ما يلفت نظره في مصر (مرسى مطروح) فيصور الكاتب جمال المدينة وطيبة الإنسان المصري والسلوك المتميز الذي يطبع حياة المصطافين المصريين "إن مرسى (مطروح) على صغرها فيها عدة مساجد كبرى ولها شاطئ رملي خلاب يقصده كثير من المصطافين، وما شاهدنا أية مظاهر مزرية في تلك القرية رغم تجوالنا فيها أمسية كاملة، وفي هذه المدينة لمسنا الظرف المصري في سائر من اتصلنا بهم، وبدأنا نشعر بأن الطبع الجزائري الجاف يجب أن يذوب هنا قبل مغادرة المدينة، حتى إذا انتهينا إلى قاهرة المعز كنا أنسا آخرين"¹⁴⁴، وعند وصوله إلى أم الدنيا (القاهرة) عاصمة مصر فأهم ما يستقطب اهتمامه المراكز العلمية فيها حيث ينبهر بتلك "المعاهد العلمية والكليات الإسلامية مما يجعلها قبلة دائمة للعرب والمسلمين في سائر أنحاء العالم، أضف إلى ذلك هذا الجمال الطبيعي الذي حباها الله به من مرور النيل المبارك وسطها وإقامة هذه الجسور الجميلة فوقها"¹⁴⁵، ثم يشد انتباهه النظام السياسي السائد في مصر فيصف بالخصوص إخلاص رجال الثورة وهم يعملون بجد من أجل تقديم "المثل يوميا على أن الدولة وقواها يجب أن تسخر دائما لخدمة المواطن الفرد كيفما كان لونه وكيفما كان مذهبه وشيعته ودينه ولايجوز أبدا أن يستنزف دم المواطن من طرف الدولة الجشعة"¹⁴⁶ لكن في الوقت نفسه يلاحظ على المواطنين المصريين ضربا من الكسل

144- البصائر، سلسلة 2، العدد 252، الصادر بتاريخ 26 ربيع الثاني 1373 (جانفي 1954)، ص.2.

145- البصائر، سلسلة 2، العدد 253، الصادر بتاريخ 3 جمادى الأولى 1373 (جانفي 1954)، ص.5.

146- المصدر نفسه.

واللامبالاة "يغطون في نومهم العميق وما يزالون صرعى الماضي اللاهي ،الماضي السافر،الماضي الفاضح" ¹⁴⁷.

وفي الحلقة الرابعة التي كانت بعنوان "مظاهر التدين في مصر" فيتطرق الكاتب إلى إسلامية مصر وعروبيتها رغم احتكاكها بالغرب ، وأن الرائي لأول وهلة عندما يرى مظاهر التمدن في مصر التي تضارع المدن الغربية الكبرى يتبادر إلى ذهنه أن مصر قد جرفها سيل الانحلال الجارف ،ولكن إذا تجولت في شوارعها فإن الواقع يعطي لك عكس ما تتوقعه ،وأبلغ مثال على ذلك تلك المساجد التي تغوص بالمصلين ولا تسع لجموعهم مما يضطرهم إلى أداء الصلاة في الشوارع خاصة يوم الجمعة ، وينبهر أكثر عندما يصل "إلى محطة القاهرة للسكك الحديدية فيجد المحطة مسجدا جامعا ،والإمام يخطب فوق منبر مسجدها الجامع" ¹⁴⁸.

وما يزيد في إقبال الجمهور المصري على المساجد أولئك الخطباء المؤهلون فكريا وعلميا ،ومعظمهم من جماعة الإخوان المسلمين " وأغلبهم في ريعان الشباب ومتقنون ثقافة عالية غربية وإسلامية ،لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " ¹⁴⁹ ،وهذا ما يدفع الكاتب إلى المقارنة بين المساجد المصرية والمساجد الجزائرية "إذا علمنا أن الشخير والتثاؤب والانحناء من بعض صفات المصلين في مساجدنا ولطالما حلا النوم لبعضهم فما أفاق وما صلى وهل يبعث الميت الحياة في مثل هؤلاء" ¹⁵⁰ ،بينما الخطباء في مصر فمعظمهم من الفئة الصالحة في البلاد .

"وما أجمل أن يصلي الحجاج المغاربة صلاة الجمعة في الجامع الأزهر ويستمعون إلى خطيب الإخوان المسلمين الأستاذ "عبد المعز عبد الستار" في صلاة له بالجامع ،فيسمعوا ما يحي ،ويعوا ما يبقي ، ويعودوا بما يجدي" ¹⁵¹.

وفي حديثه عن الجزائريين في مصر هذا البلد المضياف يشيد بحسن استقبال زواره من سياسيين وطلبة وسياح وقادة ،حيث رحبت القاهرة برئيس جمعية العلماء المسلمين "محمد

147- المصدر نفسه.

148- البصائر ، سلسلة 2، العدد 254 الصادر بتاريخ 10 جمادى الأولى 1373 (15جانفي 1954) ،ص.8.

149- المصدر نفسه.

150- المصدر نفسه.

151- المصدر نفسه.

البشير الإبراهيمي" وأكرمت مثنوا واحتضنت مكتبا لجمعية العلماء الذي صار يعد بمثابة سفارة جزائرية هناك ،هذه الجمعية التي كان هدفها الأسمى هو التعريف بالقضية الجزائرية وتمثيل الجزائري الشهم المناضل أحسن تمثيل وكان من بين أولئك الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" والشيخ "الفضيل الورتلاني" .

وكاتبنا في مصر وقد حل موسم الحج ،فسيطرت عليه فكرة الذهاب إلى البقاع المقدسة "فحنت النفس واشتد الشوق إلى تحقيق الأمانى الروحية العذاب فوق ثرى مهبط الوحي والاتصال المباشر بالحاضر والماضي فوق معالمه وأماكنه المقدسة" ¹⁵² ،وشجعه على ذلك رفاقؤه في الكشافة الإسلامية وكذا رئيس جمعية العلماء ، ولحسن حظ كاتبنا فقد وجهت السلطات السعودية دعوة إلى "البشير الإبراهيمي" ومرافقيه فكان من بينهم الأستاذ "الغسييري" -رحمه الله- والـ<كي كان وقتئذ كاتباً خاصاً للبشير الإبراهيمي ،فيصور التوديع ويصف الطائرة التي أقلتهم من مصر "طائرة جبارة ذات أربعة محركات تقل ما يربو على ستين راكبا وقد خصص معظم مقاعدها لضيوف الحكومة السعودية الشرفيين وكلهم من الشخصيات العلمية والسياسية البارزة في البلاد العربية ،وكان بين الركاب أسرة الرئيس العظيم محمد نجيب" ¹⁵³ .

وأثناء عبور الطائرة على فلسطين يصور الكاتب تلك اللحظة التي أثرت كثيرا في نفسه لما تعانیه فلسطين من اغتصاب صهيوني ، والظلم الذي سلط عليها فيرجئ <لك إلى عدالة السماء ،وخلال الهبوط في مطار جدة يصور حسن الاستقبال والعناية التي أولاها المسؤولون لوفد العلماء القادم من مصر حيث أعدت السلطات السعودية لهم سيارة للتنقل وأداء فريضة الحج ، ويجنح الكاتب خلال <لك للحديث عن حال الجزائر على سبيل المقارنة في <كر ما تعانیه من اضطهاد للمسجد "أي محنة أشد هولا من أمة كل فيها المسجد وحزن فيها الجامع" ¹⁵⁴ ،وعندما يلقي بنظره على مكة المكرمة يشرع بوصفها وصفا جغرافيا بخلفية تاريخية دينية ، ولا يفوت الكاتب وصف التطور الذي عرفته السعودية خلال فترة حكم الملك "عبد العزيز بن عبد الرحمان الفيصل آل سعود" الرجل الذي وصفه بالعظمة والإصلاح وشدة

¹⁵² - البصائر ،سلسلة 2، العدد 257 الصادر بتاريخ 1 جمادى الثانية 1373 (5 فيفري 1954) ،ص.8.

¹⁵³ - المصدر نفسه ،ص.6.

¹⁵⁴ - البصائر ،سلسلة 2، العدد 258 الصادر بتاريخ 8 جمادى الثانية 1373 (12 فيفري 1954) ،ص.1.

إخلاصه للعروبة والإسلام ، كما أتى أيضا على ابنه "سعود بن عبد العزيز" الذي كان ولي العهد ، والذي أقام مأدبة عشاء على شرف بعض الضيوف من الحجاج ، وكان من بينهم الأستاذ "الغسييري" والشيخ "الإبراهيمي" -رحمهما الله- ويستطرد الكاتب هنا في وصف تلك الأبهة ذات الطابع الرومانسي الخلاب ومن بين مظاهر الاحتفال تحول أروقة القصر إلى "سوق عكاظ" يتنافس فيه فحول الشعراء.

وحين يخرج الكاتب إلى طواف القdom يبدأ بالدعاء لوطنه الجزائر الذي لم يفارق مخيلته ولو برهة من الزمن فيعيش الكاتب سموا روحيا بالغا ،وما يزيد في تأثره هو أن يرى الشيخ "البشير الإبراهيمي" وهو يتذلل بين يدي الله -عز وجل- ويبكي ويدعوه أن يرفع الغبن عن الجزائر.

وبعدما ينتهي الكاتب من تصوير تلك المشاعر الروحية الربانية ووصف مراحل الحج والتنقل وغيرها ،يحدثنا عن المواقع المختلفة التي زارها ومنها بيت مولد نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وقبر أمن خديجة -رضي الله عنها- ودار أبي سفيان... ولم يفوت كاتبنا فرصة الحج دون أن يحقق ما يوطد العلاقات مع علماء الإسلام ،فبعد لقاءات مع بعض رجال علماء العالم الإسلامي خاصة في فندق مصر بمكة المكرمة ،وفي هذا الفندق يصف لنا الكاتب أجواء الحفلات التي أقيمت هناك وأهمها حفلة التكريم التي أقامها ممثلوا جماعة الإخوان المسلمين على شرف الشخصيات البارزة من حجاج العالم الإسلامي.

وبعد هذا الوصف العام لأجواء الحج في مكة المكرمة ينتقل الكاتب إلى وصف تنقله إلى المدينة المنورة ، في تلك اللحظات المفعمة بالسمو الروحي يشرع الكاتب في مناجاة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيشكوا إليه حال الأمة الإسلامية وما تعانيه من اضطهاد وظلم وخاصة الجزائر التي تحولت مساجدها إلى كنائس وما يعانيه شعبها من قهر تحت احتلال فرنسي غاشم "ها نحن زرنك وافدين إليك من الجزائر بلادك اليتيمة بلادك السعيدة على أقوام والشقية على آخرين بلادك الغنية الفقيرة بلادك الحرة المستعبدة ففيها تلاحقت الأجناس وتطاحنت الأديان بدل أن تتصافح وفيها احتقر الإنسان الإنسان وفيها غبن الضعفاء فما وجدوا القوت حتى تمنى الأشقياء منهم الموت وكأنهم دهمتهم الغاشية"¹⁵⁵، ولكن سرعان ما

¹⁵⁵- البصائر ،سلسلة 2، العدد 271 الصادر بتاريخ 12 رمضان 1373 (15 ماي 1954) ،ص.5.

يخرج الكاتب من جو اليأس أملا في رحمة الله - عز وجل - وبثقته فيه أن يخرج الجزائر من كربتها ، وأن يبصر شبابها بوضعه ويرشده إلى الخير وخدمة وطنه وعقيدته ، كما اهتم الكاتب وهو في المدينة المنورة بزيارة معظم الأماكن التاريخية "ومنها مقابر الصحابة بالبيع ، ومساجد المدينة الأثرية ، ومشهد أحد ، وقبر أسد الله "حمزة بن عبد المطلب " ، وغيره من شهداء الإسلام"¹⁵⁶، كما يصف لنا تأثره العميق وهو فوق ثرى مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "كلما دلفت فوق ثرى مدينة رسول الله تخيلت أن كل شبر منها يهمس في أذني: هنا تشرفت بلقاء سيد الكائنات أو أحد أصحابه في يوم من الأيام ، هنا وقف الرسول عليه السلام موليا وجهه شطر المسجد الحرام راكعا ساجدا ، من هنا هب غازيا مدافعا منتصرا ، هنا ظل داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا مدى عشر سنوات ، هنا شاء الله أن يلفظ نفسه الأخير ويلحق بالرفيق الأعلى ، وتضم جسده الشريف أقدس بقعة على وجه الأرض بعد الكعبة"¹⁵⁷، من هذه الكلمات نستشف حبا دفيننا في نفس الكاتب للإسلام والمسلمين .

وقد طالت وفتت الغسيري - رحمه الله - في هذه المحطة فتحدثت عنها أكثر مما تحدثت عن مصر الشقيقة ليس في عدد الحلقات فحسب ، بل حتى في ثرائها الفكري والعلمي " وإن كان الاهتمام بالجانب الثقافي والديني جاء مشتركا بين حديثه عن (مصر) و (العربية السعودية) فإن الحديث عن الجانب الثقافي كان أوضح في القاهرة بينما كان الاهتمام بالجانب الديني والحديث عنه أبرز بكثير جدا في السعودية"¹⁵⁸ .

ويقدر ما كان كاتبنا - رحمه الله - متأثرا بما توحى به البقاع المقدسة من مشاعر روحية سامية ، بقدر ما كان مهموما بمظاهر التخلف في المسلمين و سطحية تعاملهم مع الشعائر الدينية ، فكان بعض الحجاج غايتهم هي جلب أكبر كم من الهدايا حتى وإن وقع ورطة الديون .

وكما أشرنا سابقا أن كاتبنا - رحمه الله - لا تفارقه صورة الجزائر أبدا وهو في البقاع المقدسة بعد ما لاحظ ما تنعم به هذه البلاد الأمانة من نعم جمّة ، يجنح بخياله إلى الجزائر فلا يجد مجالا للمقارنة وذلك نظرا للواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الجزائري تحت السيطرة

156 - البصائر، سلسلة 2 ، العدد 273 الصادر بتاريخ 26 رمضان 1373 (28 ماي 1954) ، ص.4.

157 - المصدر نفسه.

158 - د. عمر بن قينة ، مصدر سبق ذكره ، ص.170.

الاستعمارية، وما يملك كاتبنا -رحمه- في تلك اللحظات إلا أن يتضرع بالدعاء إلى الله -عز وجل- أن يحسن أحوال الأقطار الإسلامية ويخص بالدعاء بلده الأم الجزائر، وأن يهدي أبناءها كي يدافعوا عن الإسلام ولغته.

وبعد أدائه مناسك الحج يغادر هذه البلاد الطيبة ليحط الرحال في محطة موائية شملت كل من (سوريا) و(لبنان) وهذه المرحلة جاءت قصيرة في الزمن وفي نص الرحلة وكانت أشد اختصاراً في (لبنان) حيث بدأ الكاتب بوصف المناظر الطبيعية الخلابة وهو في الطائرة أما على أرضها فيصف طيبة الإنسان السوري وحسن استقباله لضيوفه الذي بدأ من المطار حيث صادف أستاذنا الغسيري والشيخ الإبراهيمي -رحمهما الله- جمركي من أصل جزائري الذي فرح كثيراً بلقائهما "وتحركت فيه العاطفة الوطنية فقال: مرحباً أنا من الجزائر... من أبناء المهاجرين الأولين إلى دمشق"¹⁵⁹.

ولقد لبث الكاتب في سوريا خمسة أيام رفقة الشيخ "البشير الإبراهيمي" فأحب هذه البلاد كثيراً وأحس أنها بلاده وأهلها أهله حتى أن نفسه لم تطاوعه بسهولة إلى مغادرتها وكان الشيخ "الإبراهيمي" هو الذي يدفعه دفعا ليغادر (دمشق) إلى (بيروت) فيودع كاتبنا (دمشق) وهو أسفا على الفراق حتى بدت له السيارة التي تقله مفرطة في السعة فقد سعد كثيراً بالأيام التي قضاها هناك وأعطى انطباعات كلها إيجابية عن بلده الثاني (دمشق).

وهو يحط رحاله في لبنان افتتن بجمال الطبيعة هناك لدرجة أنه اعتبر "الأخطل الصغير" مقصراً في وصفه جمال الطبيعة في لبنان، إذن فقد كان اهتمام الكاتب في هذه المرحلة من رحلته منصبا على جمال الطبيعة وسحرها.

وفي الخاتمة يتكلم الكاتب عن عودته إلى مصر وكان في استقبالهما رجال الثقافة والسياسة، ثم يعرج ليتحدث وبشكل سريع عن عودته بفرده إلى الجزائر مروراً بمطاري (بنغازي) و (طرابلس) في ليبيا ثم مطار (تونس) ليصل بعد ذلك إلى الجزائر فيصور فرحته بعودته إلى بلده الأم الجزائر التي رغم ما تعانیه من فقر وحرمان إلا أنها تبقى أجمل بلد في نظره، ليأخذ في الصباح قطاراً نحو قسنطينة فنزل عند أصهاره وشرع يتلقى التهاني بحبه وعودته من الأحباب والأصدقاء "وفي طلائعهم رجال جمعية العلماء وشباب الكشافة

¹⁵⁹- البصائر ، سلسلة 2 ، العدد 274، الصادر بتاريخ 10 شوال 1373 (11 جوان 1954) ، ص.8.

الإسلامية الجزائرية وجماعة من أهالي سكيكدة وغيرها، وكتب الله أن أجتمع بهم بعد فراق دام شهرين كنت فيهما سفيرهم إلى الشرق العربي... وأرجو أن أكون قد أحسنت السفارة... كما أرجو أن أكون قد قدمت بعض ما لبلادي علي من خدمة برحمتي هذه... التي يرجع الفضل في تحقيقها إلى الكشافة الإسلامية الجزائرية وإلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإلى حكومة الثورة بمصر وهيأتها وإلى جلالة الملك سعود¹⁶⁰.

2-دراسة أسلوب النص:

قبل أن نخرج إلى دراسة أسلوب النصوص واستخراج خصائص الكتابة الغسيرية يجدر بنا أن نشير إلى أهم خصائص النثر في تلك الفترة.

لقد ساهمت الأحداث السياسية وتقلباتها الكثيرة والثورات العنيفة ويقظة الشعوب الشرقية والإسلامية في وضع مادة خصبة وغزيرة أمام الكتاب جعلتهم يخوضون في شتى الموضوعات كما كانت للحالة الاجتماعية وما عليه الناس من فقر وجهر ومرض وانحلال التي دعت زعماء الإصلاح الاجتماعي إلى الإسهام في تشخيص الداء ووصف الدواء وحث الهمم على التخلص من تلك الرذائل، ساهما كبيرا في النهوض بالنثر من حيث أسلوبه وألفاظه بالإضافة إلى انتشار الصحف وتشجيع المطابع في مطلع النهضة على إحياء تراث الأديباء والأجداد والقيام بترجمة شيء من أدب الغرب وقد أضفى كل هذا على النثر طابعا خاصا "فخلصه في الغالب من المحسنات البديعية... ووصف الأديباء همهم إلى العناية بالمعاني لا إلى تنميق الألفاظ اللهم إلا في الموضوعات الأدبية البحتة وخلا النثر من المبالغات الممجوج والأخيلة السخيفة، وانصرف عن المقدمات الطويلة التي كثيرا ما تستهلك جهد الكاتب والقارئ جميعا دون بلوغ الغرض الذي سيق له الكلام"¹⁶¹.

وننتج عن كل ذلك تغير طريقة الكتابة وذلك تبعا لتغير طريقة التفكير "من تقصير الجمل وفصل العبارات وحبس كل واحدة منها على أداء معنى واحد... واستحداث صيغ جديدة لأداء

¹⁶⁰ - البصائر، سلسلة 2، العدد 276 الصادر بتاريخ 24 شوال 1373 (25 جوان 1954)، ص.8.

¹⁶¹ - عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، م1، ط8، دار الفكر 1973، ص.325.

معاني جديدة¹⁶² وتميزت موضوعات النثر بسمات عامة اقتضتها روح الموضوع وطريقة علاجه فالكتابة الاجتماعية تتبنى خصائص ليست هي نفسها التي تتطلبها الكتابة السياسية وهكذا "قالنثر الاجتماعي يتطلب صحة العبارة ووضوح الجمل وترك المبالغات وسلامة الحجج... لأن الغرض منه معالجة الأمر الواقع، فلا ينبغي استعمال الأقيسة الشعرية، ولا الخيال المجنح"¹⁶³ في حين نجد النثر السياسي أو الصحفي الذي يخاطب عامة الناس "يمتاز بالسهولة والوضوح بحيث يكون معناه في ظاهر لفظه"¹⁶⁴، إذن لكل غرض نثري مميزاته الفنية الخاصة به، ولكون موضوع الرحلة احتل حيزاً معتبراً في الأدب العربي فقد طبع هذا الفن خصائص انفرد بها عن بقية الموضوعات الأخرى يشترك فيها جل الأدباء، لكن يبقى لكل أديب أسلوبه الخاص تتحكم فيه شخصيته وبيئته وعدة عوامل أخرى فلقد طالما قيل إن الأسلوب هو الرجل لأنه "يعبر عن شخصية الكاتب أو المرسل"¹⁶⁵ فإذا الناقد لم يفهم نفسية الأديب يصعب أن يفهم أسرار صياغته الفنية فالكاتب المتفائل يتميز عن أسلوب الكاتب المتشائم الذي ينظر إلى الحياة والأشياء من خلال زجاجة سوداء لأن خصائص النفس تنتقل أبداً إلى الأسلوب وعلى الناقد أن يعنى بطبيعة نفسية الكاتب ومدى تأثيرها في أسلوبه.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الأسلوب الفني يتأثر بالنفسية الاجتماعية المسيطرة على روح العصر الذي يعايشونه وأيضاً لا يمكننا أن نهمل بيئة الفنان فكثيراً ما قيل إن "الفنان بن بيئته" فالظروف البيئية التي نشأ فيها كلها تؤثر في أسلوبه الفني بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وعلى الناقد أن يكون ملماً بأهم هذه الظروف حتى يستطيع أن ينفذ إلى أعماق أسلوب الكاتب "فإن الناقد الذي يقبل على النص دون أن يتمثله في بيئته الزمانية والمكانية يعسر بل يستحيل عليه تذوقه وتقديره واكتشاف حقيقة المؤثرات التي تفاعلت في توليد تجربته وصياغة أسلوبه"¹⁶⁶.

162 - المرجع نفسه.

163 - المرجع نفسه.

164 - المرجع نفسه، ص. 326.

165 - مجلة الآداب، العدد 4، قسنطينة، 1997، ص. 80.

166 - د، إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج1، ط5، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1976، ص. 149.

هذه أهم العوامل التي تتحكم في النص الأدبي وتؤثر فيه إضافة إلى تأثير الثقافة والتجارب والمذاهب وغيرها ، ونحن أمام نص الرحلة الغسيرية ونعني تلك الرحلة التي قام بها إلى المشرق العربي وضمنها عنوان "عدت من الشرق" وقد خصصنا هذه الرحلة بالدراسة ذلك لأن نصوصها متوفرة ، وأساليبيها متنوعة وثرية، بخلاف الرحلات الأخرى التي قام بها ،كتلك التي قادت إلى تونس الخضراء بهدف تفقد أحوال الطلبة الجزائريين هنالك ، وكذلك الرحلة التي قام بها إلى مصر الشقيقة في إطار أداء مهمة سياسية وقد أشار إليها "أحمد توفيق المدني" في كتابه "حياة كفاح" ولكن نصوص هذه الرحلات تعد في عداد المفقود ، ومن خلال النصوص المتوفرة لدينا والتي كتبها عن رحلته إلى المشرق ، فسنحاول معالجتها معالجة نقدية موضوعية ، وذلك بالاعتماد على أدوات إجرائية تكشف عن جماليات هذه النصوص ، والوقوف على أهم مفاتيح مكوناتها للوصول إلى القيم الأسلوبية والجمالية التي تقدمها هذه العناصر والمكونات ولا يتأتى ذلك إلا بالتطرق إلى البنية اللغوية والبنية والدلالية للنص.

2.1- البنية اللغوية للنص:

__انطلاقاً من تعريف الجملة بأنها "وعاء لمعنى كلي ، كما أنها الوحدة الأولى التي يحدث عن طريقها الفهم والإفهام ، وهو ما يشكل رسالة اللغة ، أو طبيعتها والفعل لا بد له من فاعل ، والمبتدأ لا بد له من خبر لتتكون هذه الوحدة المفهومة وعن طريق هذه الوحدات الجمالية تتكون التراكيب في علاقات وروابط من خلال وحدة تضم تفصيلات كثيرة في كيان عضوي واحد" ¹⁶⁷ فالنظرة الأولى للجملة تجعلنا ندركها إدراكاً كلياً ، ولكن كلما تعمنا النظر أكثر أدركنا أجزائها كل على حدة.

لقد اعتمدت البنية اللغوية للنص الذي بين أيدينا ألفاظاً بسيطة سهلة غير مستعصية على الفهم ن فكانت بذلك لغة واضحة ، فهو يخاطب العام والخاص كما كانت لغته دقيقة التعبير، فينزل كل لفظ موقعه ، إذ لكل حادثة ما يناسبها من ألفاظ.

¹⁶⁷ - د، فتحي أحمد عامر ، النقد والناقد ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ص.237.

وقد جاءت هذه البنية في جمل اسمية ، وجمل فعلية غير أن هناك تفاوتاً كبيراً بينهما حيث قلت الجمل الاسمية التي تدل على الثبات والسكون ، وفي المقابل نجد الجمل الفعلية بكثرة والتي تدل على الحركة والفعالية وهذا كان مناسباً لموضوع النص الذي ينتمي إلى فن الرحلة والتي هي التنقل والحركة لاكتشاف المجهول.

2. 1. 1- البنية الفعلية للنص:

لقد غلبت على هذا النص البنية الفعلية-كما أشرنا آنفاً- فكانت أغلب جملته جملاً فعلية تدل على الحركة والحيوية والفعالية ، لترصد الحدث وتساهم في رسم حيز النص ولحمته، يقول الكاتب: "طرنا من بيروت إلى القاهرة في مدة ساعتين وبعض الساعة ، ومررنا فوق البحر الأبيض المتوسط طبعاً، وانتهى بنا الطيران بمطار القاهرة فنزلنا ووجدنا في استقبالنا العائلة الجزائرية بمصر"¹⁶⁸ لقد أوردنا هذه الجملة على حساب المثال لا الحصر ، إذ الجمل الفعلية لا حصر لها في النص كما أكثر الكاتب من استعمال الأفعال الثلاثية ليعبر عن ديمومة الحدث وحركته فنجد معظم الأفعال التي استعملها ثلاثية ولا نكاد نعثر على أفعال مزيدة فيقول: "وصلنا السلوم ونزلنا ضيوفاً على الديوانية وكنا كثيراً جداً ، لقد سبقنا الحجاج وكثير غيرهم من الراجلين الراحلين عبر الصحاري ولا يملكون مالا ولا زاداً ولا يحملون أوراق تعريف شخصية ، ولا يخضعون لقانون دولي ، فكان منهم الإفريقي والأسياوي ، وكلهم إخوة وقعوا في قبضة الحراسة المصرية الشديدة ، ولو في تخوم الصحاري دخلنا مكاتب الشرطة فقدمنا أوراقنا وكانت تحمل كلمة الكشافة الإسلامية الجزائرية"¹⁶⁹ فالأفعال: وصل ، ونزل ، وسبق ، وملك وحمل وخضع ووقع ودخل كلها ثلاثية ولا نعثر في هذه الفقرة على أي فعل غير ثلاثي والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

وهكذا نجد الجمل الفعلية تتوارد وتتوالى وقد توزعت بين جمل في زمن الماضي ، وجمل في زمن الحاضر أو المستقبل لتؤكد على الحركة التي تتطلع إلى الثورة والتغيير والتجديد فيقول الكاتب: "إن موسليني في أيامه قد يكون أرعد وأخاف بريطانيا وفرنسا بعد إن افترس

¹⁶⁸- البصائر ، سلسلة 2، العدد 276، الصادر بتاريخ 24 شوال 1373 (25 جوان 1954) ، ص.8.
¹⁶⁹- البصائر ، سلسلة 2، العدد 252، الصادر بتاريخ 26 ربيع الثاني 1373 (1 جانفي 1954) ، ص.2.

ألبانيا وأثيوبيا وطمع في كثير من الأمم العربية فعده التاريخ المفترى عليه عظيما فهل هو كذلك ؟ قد يكون موسيليني عظيما ولكن العظمة لله الواحد القهار ، فها قد انتقم سبحانه ممن شرد شعبا كاملا وأجلاه عن وطنه فهام في الأرض لاجئا يسترحم ويستغيث ، وظل عهدا مال فيه إلى اليأس وظن أن لا عودة إلى الوطن¹⁷⁰ ففي هذه الفقرة نجد أفعالها متنوعة بين زمن الماضي وزمن الحاضر وذلك لكسر الملل ، ويستعمل الكاتب هذا التنوع عندما يكون تأثرا على الوضع أو على موقف معين طامحا من خلال ذلك إلى التجديد والتغيير والحسن .

إن هذه الجمل الفعلية مدت النص بجمالية خاصة تعتمد على الانسجام والتوافق فجاء النص خفيفا مؤديا للغرض المنوط به ، وحقق الكاتب ذلك عن طريق حسن اختياره للألفاظ التي كونت لحمة النص وانسجامه .

2.1.2 - البنية الاسمية للنص:

إن الجملة الاسمية ضئيلة التوفر في النص - كما أسلفت الذكر آنفا- ذلك لأنها تدل على الثبات والسكون وهذا ما لا يخدم الموضوع الذي نحن بصدد دراسته ، إذ أنه ينتمي إلى أدب الرحلة والتي من خصائصها التنقل والاكتشاف وحب الحركة ، فالكاتب كان مقتصدا في استعماله للجمل الاسمية إلا في بعض الحالات النادرة مثل قوله : "إنها الطاعة بلا قيد ولا شرط وطاعة الوالدين ، طاعة الله ، طاعة الرؤساء العارفين المخلصين ، إنها الحرب على النفس وأثرتها وأنانيتها وكبريائها إنه السلوك الحسن نحو التربية والتهديب بشجاعة"¹⁷¹ .

إن البنية اللغوية لهذا النص استفادت من بلاغية الألفاظ ، حيث استعملت استعمالا مجازيا ، ولكن لكون طبيعة موضوع النص تتطلب الإخبار أكثر من الإنشاء فنجد الاستعمالات المجازية من تشبيه أو استعارة وكناية قليلة ، اللهم إلى في بعض المواقع من مثل التشبيه : "وهو في اللغة التمثيل ، وعند علماء البيان : "مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة"¹⁷² وهذا التشبيه معظمه كان عاديا أي يتوفر على كل أركانه من مثل قوله : "إن إيطاليا الفاشية يظهر أنها أسرفت في الخيال حين تلقت تعاليم "الدوتشي" وكأنها وحي من

¹⁷⁰ - البصائر ، سلسلة 2 ، العدد 250 ، الصادر بتاريخ 5 ربيع الثاني 1373 (11 ديسمبر 1953) ، ص.2.

¹⁷¹ - البصائر أ سلسلة 2 ، العدد 263 الصادر بتاريخ 13 رجب 1373 (19 مارس 1954) ، ص.5.

¹⁷² - السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع ، ط1 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1999 ، ص.219.

السماء¹⁷³ ففي هذا المثال نجد كل أركان التشبيه ما عدا وجه الشبه وهي: "تعاليم الدوتشي" مشبه و"كأن" أداة التشبيه و "وحي من السماء" مشبه به وقس على ذلك هذه الأمثلة: "وهذه الحقائق التي تتخلل كلياتها وكأنها عرائس وسط المروج ،أو كأنها زهرات وسط باقة تفنن في تتسيقها أبرع الفنانين"¹⁷⁴ ،وفي قوله أيضا: "ركبنا السيارة وسارت إلى الأمام كالسهم"¹⁷⁵ وكذلك قوله أيضا: "إن زعم الزاعمون أنهم أحياء شبه أموات وكبار شبه أطفال" وفي قوله أيضا: "وبحقوق كل أغراض الإنسان الكامل ويكون كالملاك يمشي على وجه الأرض"، ويقول كذلك: "بعد أن أقمنا بها خمسة أيام وكأنها ساعة من نهار"¹⁷⁶ فهذه التشبيهات كلها عادية ،وخلت النصوص من أنواع التشبيه الأخرى كالتشبيه البليغ الذي يذكر في المشبه والمشبه به ويحذف كل من وجه الشبه وأداة التشبيه كما لانعثر كذلك على التشبيه التمثيلي الذي يكون وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد وانعدم كذلك وجود التشبيه الضمني الذي لا تذكر في أركانه بصورة من صور التشبيه المعروفة وإنما تلمح من مضمون الكلام وهذا كله أنقص من القيمة البلاغية في النص.

أما عن أنواع البيان الأخرى كالاستعارة والكناية فهي قليلة جدا إن لم نقل منعدمة فنجد الاستعارة "وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"¹⁷⁷ في قوله: "فتأسره قوة خالق القوة والأقوياء"¹⁷⁸ حيث شبه القوة بالإنسان فحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة تدل عليه وهي الأسر فكانت بذلك "استعارة مكنية".

عن النص لا يخلوا من المحسنات البديعية التي ساهمت في رسم جمالية النص من طباق ومقابلة وجناس مع قلتها وهي أيضا:

أ-المقابلة: وهي: "أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ،ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب"¹⁷⁹ ونجدها في الأقوال التالية:

¹⁷³ -البصائر ،سلسلة 2ن العدد 250، الصادر بتاريخ 5ربيع الثاني 1373 (11 ديسمبر 1954)،ص.3.
¹⁷⁴ - البصائر ، سلسلة 2 العدد 253، الصادر بتاريخ 3 جمادى الأولى 1373(8 جانفي 1954) ،ص.5.
¹⁷⁵ - البصائر ، سلسلة2، العدد 258 ، الصادر بتاريخ 8 جمادى الثانية 1373(12 فيفري 1954)،ص.1.
¹⁷⁶ - البصائر ، سلسلة 2 ، العدد 274الصادر بتاريخ 10 شوال 1373(11جزان 1954) ،ص.8.
¹⁷⁷ - الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ،ج1، ط1، منشورات دار الكتاب اللبناني ،1949،ص.407.
¹⁷⁸ - البصائر ، سلسلة 2 ، العدد 262، الصادر بتاريخ 6 رجب 1373(12 مارس 1954) ،ص.7.
¹⁷⁹ - د. عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،1974، ص،76.

"تأخذ بيد الضعيف، وتضرب على يد القوي"¹⁸⁰ ، "رؤساء الحكومات رعاة الأغنام"¹⁸¹ ،
"بلادك السعيدة على أقوام والشقية على آخرين"¹⁸² .

ب- الجناس :والذي " هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى...ولا يشترط في
الجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة"¹⁸³ ونجده في
الأمثلة التالية : "تباحثنا معها في عدة شؤون غالبها مثير للشجون"¹⁸⁴ "ولقد سبقنا الحجاج
وكثير غيرهم من الرجالين والرحالين"¹⁸⁵ ، "بقصد الاستعمار والاستثمار"¹⁸⁶ ففي المثال الأول
هو جناس ناقص بين الكلمتين "شؤون وشجون" وفي المثال الثاني الأمر نفسه بالنسبة
للكلمتين "الرجلين" و "الراجلين" وكذلك بالنسبة للمثال الثالث بين الكلمتين "الاستعمار
والاستثمار" .

د- السجع: والذي هو "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ،وأفضله ما تساوت فقره"¹⁸⁷
ومن أمثله : "بطل الجهاد وحليف الجلاذ"¹⁸⁸ ، "كتب لهذا الإنسان أن يهزم الشيطان
ويخلص لعبادة الرحمان"¹⁸⁹ ، "ولست أدري كيف تنهض الأديان إذا عجز رجال الأديان
وخانتهم قوة الأبدان وأتى عليهم الزمان"¹⁹⁰ ، "فوق تراب شرفته فأعليت فيه الإنسان وسويت
فيه بين الأجناس والأديان"¹⁹¹ ، "ولكنك حاربت جشع الجاشعين وتكالب المستغلين ،ودجل
الدجالين وسمسرة السماسرة المضلين"¹⁹² ، فودعت مصر وإخواني بها وعز الفراق ولكن
على أمل التلاق "¹⁹³ .

هـ- الطباق: وهو "الجمع بين الضدين أو بين شيء وضده في كلام أو بيت شعري"¹⁹⁴
ونجده في العبارات التالية : "بعد تشريد مرير لحق أحياءهم وموت شريف في المنافي تناول

180- البصائر العدد 250، مصدر سبق ذكره ،ص.3.

181- البصائر ، العدد263، مصدر سبق ذكره ،ص.5.

182- المصدر نفسه.

183- د. عبد العزيز عتيق ، مرجع سبق ذكره ، ص.187.

184- البصائر العدد 276، مصدر سبق ذكره، ،ص.8.

185- البصائر العدد 252، مصدر سبق ذكره ، ص.2.

186- البصائر العدد 250 مصدر سبق ذكره ،ص.3.

187- السيد أحمد الهاشمي ن مرجع سبق ذكره ،ص.330.

188- البصائر ، العدد 252 مصدر سبق ذكره، ،ص.2.

189- البصائر العدد 263 ،مصدر سبق ذكره ،ص.5.

190- البصائر ، العدد 271، مصدر سبق ذكره،،ص.5.

191- المصدر نفسه.

192- المصدر نفسه.

193- البصائر ، العدد 276، مصدر سبق ذكره ،ص.8.

194- د. عبد العزيز عتيق ، مرجع سبق ذكره ،ص.67.

أمواتهم¹⁹⁵ (أحياءهم ،أمواتهم) "وهو ما تأباه أحرار ليبيا قديما وحديثا"¹⁹⁶ (قديما وحديثا) "ولن يطيق النار إنسان ولا جان"¹⁹⁷ (إنسان ،جان).
 "وخصوم شرفاء وغير شرفاء"¹⁹⁸ (شرفاء ،غير شرفاء) "أنهم أحياء شبه أموات وكبار شبه أطفال"¹⁹⁹ (أحياء،أموت) ،(كبار أطفال) " ونزور الآثار القديمة والحديثة"²⁰⁰ (القديمة ،الحديثة) "بلادك الغنية الفقيرة ، بلادك الحرة المستعبدة"²⁰¹ (الغنية الفقيرة) (الحرة،المستعبدة) هذه معظم العبارات التي تحمل في طياتها المحسنات البديعية ،فنجد الكاتب قد اقتصد كثيرا في استعمالها وذلك نظرا لطبيعة الموضوع الذي يتطلب اللغة الوصفية التقريرية ، لأنه بصدد نقل الأخبار والتعريف بالآخر ، وتقديم تقرير واف عن تلك البلدان التي زارها ، فهذا التقليل كان في خدمة موضوع النص إذ "يمتاز أسلوب الرحلات عامة بالتسجيل ..ويعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة"²⁰².

ونخلص مما سبق من محاولتنا لدراسة نص الرحلة (الغسيرية) دراسة لغوية نصية إلى النتائج التالية :

1-جلاء ووضوح التراكيب ن وذلك بمطابقة الأسلوب لإدراك القارئ وهي تبدو في صور شتى من الرقة والجزالة والسهولة حسب المعاني التي تؤديها العبارات ، فأكسب تراكيبه صفة الشفافية ،حيث تحرى البساطة في صوغها والابتعاد عن التعقيد مع الاحتفاظ بسموها وقوتها ، ووضوح التراكيب تجلى من خلال النقاط التالية :

2-توفر ذوق فني ووصفي ونحوي لدى الكاتب ، فأحسن من خلاله التأليف بين الكلمات لتدل على معنى دقيق معين ففي قوله : "ما أجمل مدينة طرابلس إنها جديدة لم تهدمها الحرب ، ولم تشوه وجهها القنابل ، ولقد بقيت قصور الحكومة فيها أنيقة"²⁰³ ، هذه العبارات بسيطة ولكنها دقيقة نظرا للتألف النحوي والوصف الحلقي والتسلسلي المشوق.

195- البصائر، العدد 250، ص. 3.

196- المصدر نفسه.

197- المصدر نفسه.

198- البصائر ، العدد 253 ، مصدر سبق ذكره،ص.5.

199- البصائر، العدد 263، مصدر سبق ذكره ، ص.5.

200- المصدر نفسه.

201- البصائر ، العدد 271، مصدر سبق ذكره، ص.5.

202- د. عبد الله ركيبي ، ، تطور النثر الجزائري الحديث . المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1974، ص.50.

203- البصائر ، العدد 250، مصدر سبق ذكره ،ص.3.

3-مراعاة الجمل معا وما يكون بينها من فصل أو وصل ،وما يربطها من حروف العلة أو العطف أو الحال ، بحيث لا يترك فواصل دون داع ولا يغفل حرف وصل حيث يجب ذكره،ولا توجد فكرة دون التمهيد لها ، وهذا مازاد في بلاغة النص وجماله مع بساطته في الآن نفسه :اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة²⁰⁴.

4-قوة التراكيب وتجلى ذلك من خلال حسن استعماله للألفاظ ذلك أن "للألفاظ ما يشبه الألوان فليت كلها زرقاء ولا صفراء ولا حمراء ، ورب لفظة رقيقة تقع ضعيفة في موضع فيكون ضعفها في موضعها ذلك هو كل بلاغتها وقوتها"²⁰⁵.

2.2-بنية النص الدلالية:

إن البنية الدلالية لنص الرحلة الغسيرية تستمد حضورها من الأسلوب الإصلاحي السائد في تلك الفترة ، لذلك نجد الكاتب وظف حقولا دلالية لاتخرج عن هذا الإطار فلا شك أن هناك علاقة لا انفصام لها بين الكلمات المكونة لهذا النص والتي تجسد حقلا دلاليا معينا والذي "هو مجموعة من المفاهيم تتبني على علائق لسانية مشتركة ويمكن لها أن تكون بينة من بنى النظام اللساني"²⁰⁶ ونحن -إن شاء الله- سنحاول أن نسلط الدراسة على أهمها:

2.2.1-الحقل الدلالي السياسي:

__ لقد استعمل الكاتب الحقل الدلالي السياسي بكثرة في الحلقات الأولى من الرحلة التي شملت (ليبيا) و (مصر) إذ أن الهدف الأول الذي من خلاله قام بهذه الرحلة هو المشاركة في حفلات التحرير المصرية "وكنا خفافا سراعا يحدونا أمل الوصول العاجل للمشاركة في حفلات التحرير المصرية التي دعينا للمشاركة فيها من طرف الكشافة المصرية" ،ففي هذا المقام وجد الكاتب نفسه منساقا إلى استعمال ألفاظ سياسية والتي فرضت نفسها فرضا²⁰⁷ ومنها : "مركز الديوانة ،الوالي ،قصور الحكومة، أوراق تعريف شخصية ،قانون دولي،

²⁰⁴ - عيد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم البيان ، ط1 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت 2000 ، ص.239.

²⁰⁵ - مصطفى الرافي، وحي القلم .ج1 ، دار الكتاب العربي . بيروت لبنان ، ص.289.

²⁰⁶ - مجلة الآداب ، العدد4، مرجع سبق ذكره، ص.87.

²⁰⁷ - البصائر ، العدد 250، مصدر سبق ذكره ،ص.3.

الحراسة المصرية ،مكاتب الشرطة ،قنصل مصر، النظام ، الحكومة ،القوانين ،الحرب الضروس، المساجين السياسيين ، الجيش ،الدولة ،العدالة ، المنظمات، السيادة الهيئة ، الجمهورية ،السلك الدبلوماسي ،الرئيس، الملك ،السفارة، الحزب ،التفتيش ، التأشير، ولي العهد ،القضاء ،البيعة، القصر الملكي، البلاط، الدولة... " ،ولاشك أن هذه الألفاظ مما يندرج ضمن قاموس التعبير عن الحقل السياسي ، وهي تتكرر كثيرا في النص ، خاصة الحلقات الأولى التي كتبها عن مصر .

2.2.2- الحقل الدلالي الديني:

نظرا للتوجه الإصلاحى للكاتب فإن نصه هذا جاء ثريا بالألفاظ ذات الطابع الديني الإسلامى ويبرز هذا الحقل بكثرة في الحلقات التي كتبها عن السعودية وهو يؤدي فريضة الحج بها ن وهذا لايعني أنه استغنى عن هذا الحقل في الحلقات الأولى التي ألفها عن (مصر) خاصة في الحلقة التي خصصها للحديث عن "مظاهر التدين في مصر" وهذه أبرز الألفاظ التي تتدرج ضمن هذا الحقل الدلالي : " فريضة الصلاة، الإسلام، المسجد ،الإمام، المصلون، الجامع الأزهر، الصلوات الخمس،الحج ، الوحي، التلبية،التهليل ،التكبير، دعاة الإصلاح ،الجامع الحرم ، المكي،الحرم المدني، الإيمان ،الربانية، الله ، النبوة، التضرع ، الحنفية السمحة، المؤمنون ،المسجد الحرام، الطواف ،السعي... " نلاحظ أن مقام هذه الألفاظ واضح ، وهو الحج لذلك تتداول ألفاظ هذا القاموس كثيرا في النص ، وبالإضافة إلى هذه الألفاظ فإن الكاتب استعمل أيضا بعض الشواهد القرآنية المواتية للمقام سوا كان مقتبسا أو ناقلا وهذه أهمها:

- "ميممين شطر القاهرة"²⁰⁸ وهي مقتبسة من الآية الكريمة : "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون" (البقرة الآية 149).

- "فوصلنا بني غردان بين عشية وضحاها"²⁰⁹ مقتبسة من الآية الكريمة : "كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها" (النازعات 46).

208- المصدر نفسه.

209-المصدر نفسه.

- "وظن كل منا الظنون"²¹⁰ مقتبسة من الآية الكريمة: " إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا" (الأحزاب 10).
- "لكن العظمة لله الواحد القهار"²¹¹ مقتبسة من الآية الكريمة: "يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" (سورة غافر الآية16).

- "حتى كنا بالقاهرة وما أدراك ما القاهرة"²¹² مقتبسة من أسلوب التعظيم في القرآن علة شاكلة "القارعة(1) ما القارعة(2) وما أدراك ما القارعة(3) " (القارعة الآيات 1, 2, 3) وكذلك قوله تعالى: "الحاقة (1) ما الحاقة (2) وما أدراك ما الحاقة (3) " (الحاقة الآيات 1, 2, 3).

- "رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله"²¹³ (سورة النور الآية 37)
- "في دولة جائعة سوف يأكل سمانها عجافها"²¹⁴ مقتبسة من الآية الكريمة "يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف" (سورة يوسف الآية46) -"فما في العالم إلا عائلة واحدة وأمة واحدة"²¹⁵ مقتبسة من الآية الكريمة "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" (سورة الأنبياء الآية 92).
- "أفضل أفرادها أتقاهم"²¹⁶ مقتبسة من الآية الكريمة: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (سورة الحجرات الآية 13).

- "ولكنه ليس في شمال إفريقيا شيئاً مذكورا"²¹⁷ مقتبسة من الآية الكريمة: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا" (سورة الإنسان الآية1).
- "تقع مكة في واد غير ذي زرع"²¹⁸ مقتبسة من الآية الكريمة: "ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" (سورة إبراهيم الآية37).

210- المصدر نفسه.

211- المصدر نفسه.

212- البصائر ، العدد 252، مصدر سبق ذكره، ص.3.

213- البصائر ، العدد 254، مصدر سبق ذكره، ص.8.

214- المصدر نفسه .

215- البصائر ، العدد 257، الصادر بتاريخ 1 جمادى الثاني 1373 (5فيفري 1954) ،ص.8.

216- المصدر نفسه.

217- المصدر نفسه ،ص.1.

218- البصائر ، العدد259، الصادر بتاريخ 15 جمادى الثانية 1373(19 فيفري 1954) ،ص.3.

- "ألم تر إلى الذي خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون" ²¹⁹ (سورة البقرة الآية 243).

- "بنى الخليل بيت الله هناك وأذن في الناس بالحج ، واتاه الحجاج من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات" ²²⁰ مقتبسة من قوله تعالى : "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، لشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير" (سورة الحج الآيتان 27. 28).

- "وكل يذكر يوما عبوسا قمطيرا" ²²¹ مقتبسة من قوله تعالى : "إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطيرا" (سورة الإنسان الآية 10).

- "ويسأل العبد الضعيف (لا الرئيس) ربه خاشعا أن يكون ممن وقاهم شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا" ²²² مقتبسة من قوله تعالى : "فوقاهم الله ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا" (سورة الإنسان الآيتان 11. 12).

- "لأنها صحاري جرداء قاحلة لا أثر للعمارة فيها ولا تبدو إلا قاعا صفتفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا" ²²³ مقتبسة من قوله تعالى : "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفتفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا" (سورة طه الآيات 105 ، 106 ، 107). هذا بالنسبة لتأثره بالقرآن الكريم لغة وأسلوبا ، لكن بالنسبة للحديث النبوي الشريف فكان توظيفه قليلا جدا إن لم نقل منعدما .

وقد وظف الكاتب أيضا صيغ الدعاء فنجده يكثر منها في البقاع المقدسة ومنها قوله :
"قله الله في السراء وفي الضراء ولمصر البقاء والخلود وحيا الله مصر وحكومتها" ²²⁴.
- "ياربنا إنا قصدناك فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار إنا ندعوك فكن لنا ولذنوبنا ، ومعارفنا ولمن سبقنا بالإيمان ومن سيلحقنا من الإخوان ، نعم المولى ونعم

²¹⁹ - المصدر نفسه.

²²⁰ - المصدر نفسه.

²²¹ - البصائر ، العدد 262، مصدر سبق ذكره، ص.7.

²²² - المصدر نفسه.

²²³ - البصائر ، العدد 274، مصدر سبق ذكره، ص.8.

²²⁴ - البصائر ، العدد 253، مصدر سبق ذكره ، ص.6.

النصير، يا غافر الذنب ويا ساتر العيوب ن يا كاشف الكروب أنر عقولنا وبصائرنا واحسن خواتمنا ومصائرنا ، يارب محمد رفقا بأمة محمد ... اللهم وأشع اليقظة بينهم فإنهم ما يزالون غافلين عما هم فيه من الانحطاط والتقاطع والتدابير والتخاذل نسألك أن تهزهز جموعهم وتجمعهم على كلمة واحدة وتحبب إليهم الحياة الحرة ، وتكره إليهم الكفر والفسوق العصيان، وتقتل فيهم الأناثية وحب الذات ، اللهم إنا كرهنا حاضرنا فجمال بفضلك مستقبلنا ، مللنا الفرقة وسئمنا النزاع وكفرنا بالطاغوت ، فوجد بين صفوفنا واقتل الغرض والهوى في نفوسنا واكتب لنا طريق الخلاص والتحرر، إنك على كل شيء قدير²²⁵.

- "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"²²⁶.

- "فليكن الله في عون الأمير وليحقق الله آمال العرب والمسلمين فيه وفي إخوانه ورجال حكومته ، إنه نعم المولى ونعم النصير"²²⁷.

- وعبارات مثل "طيب الله ثراه"²²⁸، "قدس الله روحه"²²⁹.

2.2. 3-الحقل الدلالي التراثي:

سنحاول التطرق في هذا الحقل إلى التراث العربي الذي وظفه الكاتب وهو قليل جدا ، حيث يستشهد في بعض الأحيان بالشعر إذ "بإمكانه أن يزيد الحق والصواب نضرة وزهاء ورونقا ووضوحا أو أن يخفي ما يشين صفحة الباطل والخطأ والوهن من خروق وفتور وواعوجاج"²³⁰، والغسيري نجده في "مواقف كثيرة يستشهد بالشعر قديمه وحديثه مما ينبئ عن ثقافة عربية واسعة"²³⁰ فإذا كان "الغسيري" قد وظف في قاموسه وفي معانيه الآيات القرآنية، ووظف أيضا الأشعار العربية ، فإنه وظف -ولكن بحجم أقل- الأمثال العربية في نصوص الرحلة التي نحن بصدد فحص حقولها الدلالية وسنسوق هنا بعض ما وظفه من شعر ومن أمثال :

225- البصائر ، العدد 261، الصادر بتاريخ 29 جمادى الثانية 1373 (5مارس 1954) ،ص.2،ص.6.

226- البصائر ، العدد 260، الصادر بتاريخ 22 جمادى الثانية 1373 (26 فيفري 1954)،ص.7.

227- البصائر ،العدد 267، الصادر بتاريخ 13 شعبان 1373 (16أفريل 1954) ،ص.3.

228- البصائر ، العدد 257، مصدر سبق ذكره ، ص.7.

229- البصائر ، العدد 259، مصدر سبق ذكره، ص.3.

230- محمود محمد عمارة ، الخطابة بين النظرية والتطبيق .ط1، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ،جامعة الأزهر ،1999،ص..73

230- د. عبد الله ركيبي، مرجع سبق ذكره ،ص.72.

أبلى فأحسن في العد وبلاد²³¹

يستنهض الوادي صباح مساء.

توحي إلى جيل الغد البغضاء²³²

حتى تعجب مني القور والأكم²³³

وعز الشرق أوله دمشق²³⁴

نبئت أن طريق الخلد لبنان.²³⁵

-تلك الصحاري غمد كل مهند

-ركزوا رفاتك في الرمال لواء

ياويحهم نصبوا منارا من دم

-صحبت في الفلوات الوحش منفردا

-جزاكم ذو الجلال بني دمشق

خلقت لبنان جنات النعيم وما

انطلاقا من هذه الأمثلة نجد الشاعر تارة يستشهد بالبيت المفرد وتارة بجملته من الأبيات وهذا الشعر قد لا يكون إلا من محفوظه ،ذلك لأن الكاتب في كل أبياته يحدد صاحب البيت او الأبيات ،فكل هذه الأمثلة يذكر صاحبها وهي للشاعر العربي "أحمد شوقي" ما عدا البيت الرابع هو لـ" أبي الطيب المتنبي" .

أما فيما يخص الأمثال العربية فما عثرنا في النص الذي ندرسه إلا على استشهادين فقط

وهما :

-"شر ولكنه لامفر منه"²³⁶ ،"إنهم (أي القوم) كتجار بيروت يفصلون لكل برغوث قميصا"²³⁷ .

2.2. 4-الحقل الدلالي التاريخي:

لم يوظف الكاتب هذا الحقل بكثرة -عكس ما يمكن أن نتوقع منه- ومن بين المواقف التي وظفه فيها عندما يقارن حال الأمة الإسلامية بين الماضي والحاضر مستشهدا بعظماء التاريخ الإسلامي وما حققوه من انتصارات على عدوهم رغم قلة العدد والعدة فيقول: "ويعد سير مجهد عبر الصحاري والفلوات التي أوحى إلينا ذكريات أبطال التاريخ الإسلامي إبان

²³¹ - البصائر ، العدد 250 ، مصدر سبق ذكره ، ص.3.

²³² - المصدر نفسه.

²³³ - البصائر ، العدد 274 ، مصدر سبق ذكره ، ص.8.

²³⁴ - المصدر نفسه .

²³⁵ - المصدر نفسه.

²³⁶ - البصائر ، العدد 250 ، مصدر سبق ذكره ، ص.3.

²³⁷ - البصائر ، العدد 276 ، مصدر سبق ذكره ، ص.8.

الفتوح بوجه خاص أمثال: أبي المهاجر دينار، وعقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي سرح، وحسان بن النعمان وغير هؤلاء كثير²³⁸.

ومن خلال هذه الحقول الدلالية التي حاولنا التطرق إليها، يتضح لنا أن ثقافة الكاتب واسعة ومتنوعة بين سياسية ودينية وتراثية وتاريخية وثناء النص بهذه الحقول دليل على أن الكاتب سلب الأضواء على كل ما رآه في رحلته تلك وأعطى لكل ما شاهده معناه موظفاً بذلك أداة الوصف على وجه الخصوص ذلك الوصف الأدبي "الذي يتناول الطبيعة والإنسان والآثار القديمة والمنشآت الجميلة، والحوادث الكبيرة فهو (الوصف) نظير الرسم والتصوير، يعتمد على الخيال وصدق التعبير، والعاطفة الأساسية التي تنشئ الوصف هي الإعجاب والروعة بما يشهده الأديب فيفسره تفسيراً خاصاً متأثراً بمزاجه ووجهة نظره"²³⁹.

وأسلوب الغسيري في الوصف يتنوع ويختلف باختلاف ما يوصف فهو:

- أسلوب جزل قوي في وصف المآسي والأحزان كالحروب وما خلفته: "وهناك في الفلوات البعيدة المدى ما كنا لنبصر سوى آثار للحرب الضروس في تلك الربوع، وسوى بقايا الدبابات والطائرات المحطمة تشهد لهذا الإنسان بالوحشية والافتراس"²⁴⁰ ونجد هذا النوع من الوصف يبدو بصورة جلية في الحلقة (17) التي بعنوان "الشباب الإسلامي في الجزائر) وذلك عندما يشكو الحالة المأسوية التي آلت إليها الأمة الإسلامية إلى النبي صلى الله عليه وسلم- فيقول: "إن العالم اليوم -يا مولانا محمد- فقد توازنه ورشده وساعت حاله وأشرف على العاوية وما تبين مآله...ها نحن زرنك وافدين إليك من الجزائر بلادك اليتيمة، بلادك السعيدة على أقوام والشقية على آخرين بلادك الغنية الفقيرة بلادك الحرة المستعبدة ففيها تلاحقت الأجناس وتطاحنت الأديان بدل أن تتصافح وفيها احتقر الإنسان الإنسان وفيها غبن الضعفاء فما وجدوا القوت حتى تمنى الأشقياء منهم الموت وكأنهم دهمتهم الغاشية..."²⁴¹ وهذا الوصف هو الذي نجده طغى في النص، ذلك لأن الرحلة التي قام بها الكاتب كانت في السنوات القاسية التي مرت بها الأمة الإسلامية من تكالب الأمم عليها

238- البصائر، العدد 250، مصدر سبق ذكره، ص.3.

239- د. أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1993، ص.90.

240- البصائر، العدد 252، مصدر سبق ذكره، ص.2.

241- البصائر، العدد 271، مصدر سبق ذكره، ص.5.

حيث لازالت تعاني من مخلفات الحرب العالمية الثانية وكذلك عدم استقرار الدول العربية داخليا .

- وأسلوب الغسيري من ناحية أخرى ،لين سلس وجذاب في وصف العواطف الرقيقة وفي وصف الطبيعة والجمال : "وصعدنا إلى الطابق الأول أين توجد قاعة الاستقبال وأبهاء القصر الزاهرة وهناك رأينا أضخم ما أنتجه حضارة القرن العشرين من وسائل الراحة وأسباب النعيم ،هذه أبهاء فسيحة تتسع للألوف الجلوس قد فرشت أرضها بالطنافس الفرسية الموشاة بأفخر أنواع الوشي ، صفت عليها أرائك وثيرة مذهبة . تسطع تحت أشعة الأنوار الكهربائية المتألقة في سماء الغرفات ن ومن خلال الثريات المرصعة بقطع البلور الفاتن وهذه مقاص ساحرة خلافة يكسو سقوفها وجدرانها ضروب من الستائر الحريرية الملونة ، وتلك مكيفات هواء سابعة تضي على الجو الحار الثقيل جوا لطيفا رائعا كما لو كنا على ضفاف بردي بدمشق ،أو على شاطئ "زياما منصورية" بكرنيش القطر الجزائري الجميل" ²⁴² .

ونظرا لحسن توظيفه للوصف قال عنه عبد الله ركيبي : "والكاتب مغرم بالوصف وأسلوبه فيه يتراوح بين القديم والجديد فهو حين يمتطي الطائرة من الحجاز إلى بلاد الشام يصف الصحراء من تحته ويقارن بين الطائرة وبين القور والأكم الواردة في شعر المتنبي ، ثم يصف دمشق وجمالها وطبيعتها الساحرة ويترنم ببعض أبيات شوقي" ²⁴³ .

تلك محاولة منا لدراسة البنية اللغوية والبنية الدلالية لنصوص الرحلة التي اخترناها من بين كتابات "الغسيري" ولعلنا نخلص إلى أن أسلوبه لا يخرج عن الإطار العام لأسلوب الرحلات الذي يتميز بخصائص عدة ومن أهمها:

-التسلسل والاطراد بحيث يشعر القارئ أنه مسوق دائما إلى غاية فهو في ترقب وانتظار وكل حلقة تعد لما تتلوها فتتوالى الحوادث والمناظر وتنتهي إلى الغاية المقصودة .

-كانت العبارات الموظفة في الغالب سهلة واضحة لا تتعب ذهن القارئ ولا ترغمه على التوقف إذ هو معنى بمجرد الحوادث.

²⁴²- البصائر ، العدد260، مصدر سبق ذكره ، ص.8.

²⁴³-د. عبد الله ركيبي، مرجع سبق ذكره ، ص.73.

-تنوع العبارات وذلك حسب ما يستدعيه الموقف (المكان والزمان والحدث) فالعبارات التي استعملها الكاتب في محطته بـ (مصر) تختلف دلالتها عن العبارات التي وظيفها في البقاع المقدسة بـ (المملكة العربية السعودية) كما أنها عبارات قوية من حيث الدلالة فهي تصور العواطف والأفكار والمناظر أصدق تصوير وتجعل القارئ كالمشاهد .

-لقد تنوع أسلوب الغسيري بين الوصف والقصص والسرد ، ولكن يغلب الوصف لأن مهمته تصوير البيئات والتعريف بها وتصوير الطبيعة والبلدان، فضلا عن محاولة تصوير المشاعر الدينية في البقاع المقدسة ، أو المشاعر الوطنية حين المقارنة بين وطنه الجزائر آنذاك وبين البلدان المشرقية التي زارها أثناء رحلته.